Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد قرابة شهر من اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة ، كتب محمود درويش هذه القصيدة التي تعكس موسيقاها المندفعة وقوافيها المتكررة ؛ انفعاله بالانتفاضة ؛ ورهانه عليها في الوقت نفسه . لقد كان الخارج يضغط على الخطاب الشعري ويوجهه ، فيصبح نداؤه أشد من نداء النص ، فلا تنجح الصور والتقنيات الفنية في إخفاء المغزى الذي لا تستوعبه إحالات أو إيحاءات أو ظلال ، بل يسمي نفسه بمباشرة أنقذها أمران فلم تغرق القصيدة :

الأول : استنطاق التاريخ الذي يمثل (الماضي) والزمن الميت بخرافته (الهيكل العظمي للهدهد) .

الثاني : السخرية المعهودة في شعر درويش ؛ وهي تتجسد في المفارقة الأساسية بين المخاطب والمتكلم ؛ وفي التلاعب بالالفاظ أيضاً .

إن الشاعر بعد أن اختار زاوية المواجهة بين ضميرين ؛ أعطى للمخاطبين كل ما هو عابر يستند إلى الماضي الذي لا يمكن التوثق منه أو الوثوق به .

فثمة لهؤلاء المارين : كلمات عابرة وأسماء وساعات وسرقات عديدة وصور. وهي كلها مستندات وهمية وضعوها (هم) دون سند ، ولذا فهي قابلة لأن تغيب مرة واحدة فيختفوا بآختفائها .

لقد ارتضوا أن يحتلوا (زمننا) بنداء الماضي الذي صاغوه (هم) ثم صدقوا أنه حقيقة . ولذا صار من الصعب أن يعرفوا كيف ينهض حجر من الأرض ، ليكون بناء يعلو حتى يغدو سقفاً للسماء .

إن القصيدة بمقاطعها الأربعة تتجه تدريجيا نحو تجسيم المواجهة بين قوة (مدججة) بالأوهام والأساطير ؛ وقوة (عزلاء) تبدأ من حجر ودم ولحم . ولكن البقاء دوماً للحقيقة التي يمثلها الجسد المرتبط وواقع .

والمرور المؤقت هنا لا يعني الرغبة في إفناء الآخر ، لأنه موجود وحسب ، كما أرادت القراءة الصهيونية أن تلخص مشوهة عن عمد .

إن المرور يعني زوال الوهم وانقراض الأسطورة المنقرضة !